الطب المصري القديم

خرافتان مصريتان قديمتان

أخذ « الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية

للدكتور حسن كمال

الغرض من هذه المقالة هو اظهار اصل خرافتين شائعتين بين سكان القطر المصري يرجع تاريخهما الى حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد أيام الاسرة العشرين . وهاتان الخرافتان — « أخذ الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية — وردتا عرضاً في احدى الروايات الدينية المكتوبة بالخط الهيراطيقي على قرطاس مصري قديم محفوظ بمتحف تورين (Turin) بايطاليا. وأول من نشر هذا القرطاس هو بليت (Pleyte) وروسّي (Rossi)[1] ثم ترجمه لفبر (Lefébvre)[2] بالفرنسية وفيدمان (Wiedmann) بالالمانية[3] وبعد ذلك لخصه كل من الاستاذين ادولف ارمان (Adolph Ermann)[4] وجاستون ماسبرو (Gaston Maspero)[5] ثم أتى المستر بدج (Badge) فنقل نقوش هذا القرطاس من الخط الهيراطيقي الى الهيروغليفي وأعاد ترجمته وطبعه

والقرطاس يحوي رواية دينية تعرف بقصة (رع) (أي المعبود الشمسي) وأزيس (زوجة اوزوريس) . وتبدأ هذه الرواية بسرد أوصاف المعبود (رع) العظيمة بوصف كونه خالق الكون الأعظم وبذكر اسماء هذا المعبود العديدة غير المعروفة حتى للمعبودات . وكانت المعبودة (ازيس) في ذلك الوقت تعيش بين الخلق كامرأة ساحرة برعت في التعاويذ والقرابات السحرية أو بعبارة أخرى كانت تعيش كاحدى النساء اللاتي يشاهدن الآن في شوارع القطر ممن يدّعون معرفة « فتح البخت » ورمي الودع وقياس الأثر

ورد في القرطاس المذكور ان (إزيس) برعت في الطب ايضاً وسميت (بامرأة الطب) وهذا الجمع بين صناعتي السحر والطب كان شيئاً معتاداً عند قدماء المصريين لانهم كثيراً ما كانوا

(١) Papyrus de Turin p. II 31,77,151—138 A. Z. 1883 p 27 ff (٢) Les Origines p162-4 (٣) Die Religion p 29 (٤) Aegypten p 359 ff (٥)

يستعملون السحر في علاجهم للأمراض المستعصية . ولا تزال بعض تلك العادات شائعة بين منجمات الآلي يمارسن في التنجيم ضرب الخنان وبعض أنواع البادن ، كشوف الخطوط ، ضرب الودع ، وتطاعر ، الخ ، أي نحوم بمعنى التوسم والخنان

قالت البردية ان المعبودة (ازيس) استعملت سحرها بين الخلق زمناً من الزمن حتى سئمت ثم طمحت نفسها الى أن تسيء للمعبودات والأرواح فكرت في ذلك وقرّرت أخيراً على ان تعرف اسم المعبود (رع) السري الذي تترتب عليه سيادة المعبود في الكون . وكان (رع) شديد الحرص على اسمه لأنه يعلم ان كل فرد يتوصل الى معرفته يسود عليه . فلما ظهرت لازيس صعوبة الأمر بالطرق المعتادة ابتكرت طريقة لذلك

كان المعروف بين قدماء المصريين في تلك العصور أن الساحر اذا تحصل على جزء من جسم انسان كشعره أو ظفره أو بعض جلده او افرازاته أمكنه أن يسحر له ويضره ضرراً بليغاً . والسحر كما نعرف حقيقة واقعة . حتى لقد قيل إنهُ سحر للرسول عليه الصلاة والسلام بالنفث في العقد فنزل قوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) . كما ورد بالكتاب الشريف تأثير السحر بين الزوجين وذلك في سورة البقرة (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)

***

نعود الى قصة اليوم فنقول ان (ازيس) لاحظت ان (رع) هرم وضعف وسقط لعابه على الأرض فانتهزت هذه الفرصة وأخذت بعضاً من لعابه مزجته بطين وصنعتهُ بهيئة ثعبان سام ثم تلت عليه تعاويذ شديدة ووضعتهُ في طريق (رع) لعله يلدغه يوماً من الأيام وقت سياحته فوق القطر المصري

وحتى ذكر ستيان لعاب (رع) نقول ان في القطر المصري كثيراً من السحرة يشترطون أخذ شيء من الشخص المراد سحره ويعزّمون عليه فيكون بذلك الواسطة بين الساحر والمسحور وكثيراً ما يختلف نوع الأثر في مذهب السحرة . فبعضهم يطلب شعراً والآخر منديلاً وغيره ظفراً أو ملبوساً الخ . ويعتقد البعض ان مفعول السحر يستمر بكون « الأثر » عند الساحر وتسمى هذه الطريقة عند العامة « بأخذ الأثر » وتشاهد يومياً بين عامتنا خصوصاً فيما يتعلق بأمور المحبة والعشق

أتذكر يوماً حضر الي مريض قائلاً انه تزوج قريبة له كان والداها قد كتمها من ليلة الزفاف ولم يعد يتصورها في مخيلته واعتراه الأرق طول ليله وقال إني ماذا تعزو هذا الأمر؟ قلت كنت أحب أمرأة قبلها وباعتي انها أحدثت أثري وهو منديل «فسحرت لي عليه» وما دام هذا «الأثر» موجوداً عندها فلا رجاء من شفائي . فحاولت ان أقنعه بعدم صحة هذه الأوهام فلم أفلح

والغريب أن والد هذا المريض وأقاربه وجماً غفيراً من زملائه كانوا كثيري الاهتمام به « لفك هذا السحر » فأحاطوه على طائفة كبيرة من المشايخ واستمر الحال على ذلك ستة اشهر تقريباً كاد يطلق عروسه في اثنائها لولا ان الله من عليه بالشفاء على يد أحد السحرة المهرة !

ليست هذه الحادثة بالفريدة من نوعها . فكثيراً ما يصادفنا امثالها اثناء اشغالنا اليومية . والأغنية العامية الآتية خير دليل على اعتقاد العامة بهذه الأمور

أنا أعمل لك حجاب على ورق الخيار
أسهره بالليل واجتـه بالنهار

واستعمال الثعبان في ضرر المعبود (رع) يذكرنا بما يجري الآن في السودان في جهاته المعروفة باسم بانيورو (Banyoro) فان أهالي تلك الجهة تصطاد وحش الجاموس بتثبيت ذيول الثعابين السامة كمسامير في الأرض في طريق الجاموس المذكور فتتمكن تلك الثعابين من لدغه وقتله ويقال إن ما يقتله الثعبان الواحد في اليوم من الجواميس يبلغ العشرة أحياناً . أما الفريسة الأولى فلا تأكلها الأهالي لأنهم يعتقدون انها مسمومة واما الباقي فيؤكل(١)

قالت الرواية الدينية ان الثعبان الذي وضعته (ازيس) في طريق (رع) لدغه ولوع سمه في جسده فأثر فيه كثيراً وسبب له ألماً شديداً فارتعش فكاك وصرخ المعبود من الألم . فلما سمعت المعبودات صياحه أسرعت اليه . وأخبرهم بما حصل . فقالوا ان الحادث غريب لأن (رع) محفوظ من عوامل السحر بما سمه السحري فأمر (رع) باحضار جميع آلهة السحر فحضرت وكانت بينهم (إزيس) فاقتربت اليه قائلة (ماذا أصابك أيها الوالد المقدس ؟) فأخبرها بأنه لدغ بثعبان سمه أحرّ من الجمر وأبرد من الماء فارتعشت أعضاؤه وضعف بصره . فاجابته (ازيس) ماكرة (خبرني باسمك أيها الوالد المقدس فان كل من يحيا باسمه يعيش) . فسرد (رع) أفعاله وصفاته الالهية وختم كلامه بان اسمه (خبرا) في الصباح و (رع) في الظهر و (آتو) في المساء ظناً منه أن ذلك كان لانتفاع (إزيس) فبدأ حينئذ بشفائه لكن هذه الحيلة لم تخدع (إزيس)

(١) Johnston, Uganda Vol. II p. 884

لأنها علمت أن (رع) لم يقر باسمه السري فمنعت عن معالجته وزاد ألمه وسرى في جسمه السم فقال في نفسه أن إزيس تسعى وراءي وإن اسمي سيترك قلبي ويدخل جسمها ثم قال (رع) مركبته السماوية التي كان يطوف السماء بها فتلاقيا من الغيظ واحتجب عن الآلهة التي فيها. فقالت إزيس لابنها في قول (رع واتفقت مع (حوريس) على أن لا تشفي (رع) حتى يقسم لها بأنه إذا لم يقر باسمه تحسر عليه (وهما الشمس والقمر) فوافق (رع) في آخر الأمر على ذلك وخرج اسمه السري من قلبه ودخل جسم (ازيس) وأصبح (رع) في عالم الأموات ثم قالت (ازيس) عليه العزيمة الآتية — أنا (إزيس) الساحرة التي تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض. لقد أخذت من المعبود الأكبر اسمه السرّي وسيبقى (رع) حيًّا. اما السم فيموت لأنهُ إذا عاش السم مات (رع)

وأصبحت هذه التعويذة منزلة كبيرة في تلك العصور الغابرة. واعتاد القوم تلاوتها للوقاية من الحشرات لأنها أخرجت السم من (رع) لكونها من ابتكارات (ازيس) ولأنها كانت الواسطة لمعرفة اسم (رع) السرّي

***

قال الكاتب المصري القديم (اذا قرئت هذه التعويذة على ورقة من البردي أو قطعة من الكتان أو تمثال احدى المعبودات (نو) أو (حروحكنو) أو (إزيس) أو (حوريس) قوي مفعولها السحري. واذا وضعت ورقة البردي المذكورة في ماء وتناوله الانسان انتقل اليه مفعول التعويذة وأصبح جسمه منيعاً ضد لدغ الثعابين)

ولا يزال أمثال هذه الخرافة شائعة بين عامتنا الا أنها حرفت نوعاً بتغير الاديان فيشاهد أن بعض السحرة يتلو إحدى التعاويذ ثم يبصق في ماء يتناوله شخص آخر فيشربهُ وهذه الطريقة في اعتقادهم كافية لتحصين الشخص ضد لدغ الثعابين والأفاعي

ويلاحظ احياناً أن بعض الغلاة يلجأ الى كتابة بعض النصوص السماوية على ورق يذاب في ماء يشربهُ الشخص الراغب في الوقاية من لدغ الحشرات. ويكتب احياناً بعض تلك النصوص المقدسة على أوان تعرف عند العامة باسم (طاسات الحصة) يصب فيها الماء ويعطى للشخص الملدوغ أو المرعوب لقصد شفائه

***

وهكذا وصلت الينا خرافة قدماء المصريين محرّفة يسيراً بأن الماء المسحور بقي من يشربهُ من لدغ الثعابين